آداب الرافدين – العدد (56)
1431هـ/2010م

الفـرس والفارس فـي ميميـة الجميـح

م.د. عمار حازم محمد علي*

تاريخ التقديم: 2009/2/16 تاريخ القبول: 2009/4/1

لفتت الخيول اهتمام العرب وعنايتهم على مدار عصورهم الأولى، وقد أخذت هذه المكانة من قدرتها على أداء أعمال يعجز عنها سواها من الحيوانات، وبحكم حاجة العرب إليها فقد أصبحت عنايتهم بها أكبر من عنايتهم بما سواها، فضلاً عن ارتباطها بخصال لها علاقة بحي اتهم وبمفهومهم العام للحياة مثل الأصالة والشرف والنفع العام [1]...، وهي صفات تظهر في جوانب حياتهم كلها وفي أحوالهم وأوقاتهم كافة وتروي لنا المصادر أن أول من ركب الخيل هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[2].

وكانت الفرس الأصيلة مصدراً للتنافس والتباهي والتفاخر عند العرب في الجاهلية حيث كانوا يدركون أنَّ في حمايتها حماية للنفس والأهل لكونها مرتبطة بحياتهم وبطريقة ترتيبهم لحياتهم في مجتمعهم [3]، وهي فوق ذلك جزء من هيبة الأسرة والقبيلة فبقدر ما يملك الفرد منها يقاس جاهه وتقاس وجاهته[4]. وقد حفلت قصص البطولة والفروسية بذكرها وبصلتها العميقة بالفرسان الذين يمتطونها حيث يوجد تواشج قوي يربط بينهما[5]... وبقدر ذكر معارك العرب يرد ذكر الفرس التي هي لازمة وعدة من عدد القتال ومن شخصية الفارس وادائه وبلائه في الميدان فلا

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة دهوك.

(1) الحيوان، الجاحظ: 120/3، وينظر الحياة والموت في الشعر الجاهلي، مصطفى عبد اللطيف جياووك: 38.

(2) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، ابن الكلبي: 12.

(3) تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام، أحمد فاروق عروات: 49.

(4) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: 87/2.

(5) الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي: 111.

يذكر الفارس الاّ وذكرت معه الفرس[1]... وهناك تشابه لفظي بين الفارس والفرس يدعونا إلى أنْ نرى أنَّ مفردة فارس اصلاً استنبطت من ركوب الفرس، فالفارس هو من يجلس على ظهر الفرس... ويظهر الكثير من الشعر العربي ما للفرس من دور وصفات ومزايا في القتال، في الكر والفر وفي الطعن والمناورة والثبات والقوة والجرأة وشجاعة القلب والاقدام وعدم الاكتفاء بحمل الفارس، بل مساندته ومعاونته في دحر خصومه من الفرسان. وإذا كانت العرب قد قالت ((الخيل بخيَّالها)) فإنَّ هذه العبارة تعني التلازم بينهما أيضاً وتشف عما للخيل من دور مع خيالها فهي هنا ذكية مطواعة وهذا وحده يكفي للدلالة على دورها ومكانتها. وقد حفل الشعر العربي بنصوص عن هذه العلاقة والتداخل بين طرفيها، من خلال إقامة نماذج وشواهد داخل نصوصهم، ومن ذلك أنَّ الجميح [2] يبني مشهد الاستهلال في قصيدته اتكاءً على استثناء في السلوك... فهو يريد أنْ يعمق عامل إدانة الغدر في ما فعله بنو عامر عندما غدروا بعد الاتفاق مما يتناقض مع سلوك العرب، سواء في السلم أم في الحرب، فقد درجت العرب بوصفها أمة حضارية تحمل في أعماقها رسالات سماوية متتالية، على احترام المواثيق والعهود والعقود والأعراف، لذلك يبدو نقض الاعراف استثناءً سلبياً، منبوذاً... ولكي يصل الشاعر إلى ذلك فإنّه يرسم لقطته الشعرية للدخول إلى حادثة أو حادثات الصراع بين بني عامر بن صعصعة وهم رهط الطفيل بن مالك، وبني أسد وهم رهط الجميح... شاعر هذه القصيدة. ففي يوم ذي علق الذي التقى فيه الجمعان قتل ربيعة بن مالك، أخو الطفيل وانهزمت بنو عامر، فتبعها خالد بن نضلة الأسدي والحرث بن خالد فخرج عليهم ملاعب الاسنة عامر بن مالك في نفر من أصحابه فتهادنوا، ثم غدر بنو عامر بخالد فقتلوه، فلحقهم بنو أسد... يختار الشاعر هذا الغدر بوصفه استثناء

(1) الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، صلاح عبد الحافظ: 194/1. وينظر: وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، نوري حمودي القيسي: 102، الشعر الجاهلي، يحيى الجبوري: 178. وصف الخيل في الشعر العربي، كامل الدمقس: 377، 378.

(2) الجميح بن الطرماح الاسدي من بني أسد، وكان من الفرسان يوم جبلة وقتل ذلك اليوم. المفضليات، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون: 41.

مستهجناً سواء في سلوك العرب أم سلوك فرسانها ليبدأ به قصيدته وليعتمده استهلالاً في هندسة نص في المديح... فهو يستهجن فعل بني عامر ويدعو إلى البحث عمّا أصابوه بفعلتهم السوداء تلك، معمماً سؤاله على العرب كلهم فهو يدعو إلى توجيه السؤال إلى العرب كافة عبر مدخله (سائل معداً) [1] ويقصد بذلك أكثر العرب، لأن أكثر العرب تنتسب إلى معد بن عدنان... وكأنه يقول اسألوا العرب عما جنته بنو عامر، فلا هي راعت أعراف أهلها ولا هي أصابت مغنماً... إنَّ مثل هذا الاستهلال الاستفهامي لا يمكن فهمه إلاّ على أساس إرجاعه إلى حادثته وتحليله إلى عوامل تكوينه الموجودة في حادثة بني عامر... يقول نص البيت[2]:

سائِلْ مَعَدًّا: مَنِ الفوارسُ لا أوْفَوْا بِجِيرانـهم ولا غَنِمُوا

بعد هذا المشهد الاستهلالي الذي يذهب إلى لحظة الغدر وينتقيها ليجعلها بمثابة صيحة إعلان عن النص كلّه، وعلى أخلاقيات قصيدته كلها، فإنَّه يعود أدراجه إلى لحظة البداية، والبداية لديه هي لحظة انهزام بني عامر في النزال، فكأنه أراد أنْ يقول أنَّ الأخلاق تحتّم أنْ يكون الخلاف في نزال، وأن يكون النزال في ساحة ومعركة ومواجهة وقتال في وضح النهار، وليست الأخلاق أنْ تعقد اتفاقاً ثم تنقضه... وفي الميدان يتبين صاحب النصر من المخذول... وقد ربح رهط الجميح المعركة ولابد من احترام معطيات الميدان، ولابد أيضاً أن يكون أي رد من الردود مستقبلاً من جنسها... في الميدان الذي عاد إليه الشاعر نرى أنَّ بني عامر قد لحقتهم الهزيمة والشاعر يرمز إلى هذه الهزيمة بلقطة ركض حصان الطفيل بعيداً فكأن بني عامر وخيلها تركض هاربة من الميدان مع الطفيل الذي يهرب من ميدان سقط فيه أخوه صريعاً... وقد أمسك الشاعر بهذه اللقطة عبر رسمها بدقة من خلال هرب حصان الطفيل واسمه (قرزل) ويدّوي خبر هزيمتهم بين الناس فتسمع الناس بقصة هروبهم من ساحة المعركة بعد خسارتهم امام بني أسد. فكأن قرزل الذي يعدو بزعيمهم إنَما يعدو بهم جميعاً ويرفرف شعر ناصيته

(1) المفضليات، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون: 41.
(2) م.ن: 41.

في إشارة ذكية إلى هروب بعيد تصل اخباره إلى الناس... وهذا هو التقليد الذي يجب احترامه، في مكانه الصحيح وفي توقيته السليم، في أرض المعركة، وليس في الدسائس والنوايا. يقول الشاعر في رسم هذا[1]:

يَعْدُو بهمْ قُرْزُلٌ ويَستمعُ الـ نَّاسُ إليهمْ وتَخْفُقُ اللِّمَمُ

وهذا المشهد حدث بعد مقتل ربيعة، في المعركة في لحظة من لحظات النزال... وربيعة ليس مجرد رجل أو مجرد فارس من فرسان بني عامر... إنَّه جزء من تشكيلة القيادة، فهو أخو الطفيل الذي يقود بني عامر في هجومهم وفي خوضهم لمعركتهم ضد بني أسد. وموت الأخ في المعركة يعني تحطم نفسية القائد وتدهور روحه المعنوية ونزوعه إلى النجاة بنفسه، فهو مدخل إلى الفرار... لذلك نرى بدء فعل (الركض) من ساحة المعركة، جزءاً من القرار الصعب الذي اختارته بنو عامر، قائداً وفرساناً ومقاتلين والركض سوف يكون دون حدود الالتفات... إنّه ركض مذعورين لاهين عن كل شيء بحيث لم يفطنوا إلى ترك جثة (ربيعة) الذي هو أخو الطفيل قائد الجيش في معركة تتم خسارتها ويتم الخروج منها ركضاً عبر اضطراب عظيم... لقد تركوا موتاهم في أرض الثأر التي تلاحمت فيها الأجساد والأنفس والنوايا... والتي تجاورت فيها وتقاتلت ببسالة حتى انحسم الموقف، إقبالاً من بني أسد، وإدبالاً من بني عامر... وبنو عامر يهربون ويتركون سواهم حفاظاً على أنفسهم... يقول نص البيت في رسم هذه اللقطة للهروب غير الرشيد لبني عامر[2]:

ركْضاً وقدْ غادَروا ربيعةَ في الـ أَثْآرِ لمَّا تَقارَبَ النَّسَمُ

وربيعة الذي تتركه قبيلته أو يتركه قومه مجندلاً على أرض المعركة ليس مجرد رجل مقتول غدراً أو مجرد ضعيف يسهل قتله، إنَّه فارس بطل متمرس اختار رمحه بدراية وخبرة تناسباً مع منزلته ومكانته ففي كفه رمح لينة وعنفوان الغيظ... فهو بطل جاء إلى ساحة ليقاتل ببسالة وينتصر أو يموت، وعندما مات مات بطلاً، بل إنّه مات على مشهد بطولته، وهو مشهد ينتضي فيه السلاح بيده

(1) المفضليات: 41.

(2) م. ن: 41.

ويحارب، غاضباً، هو ورمحه... وقد حافظ على غضبه وحافظ على بطولته على بطولته في مشهد أو لقطة موته... وفي رسم هذا الموت أو هذا النوع من الموت إشارة إلى الوقوع في قلب الأعراف الصحيحة التي يكون فيها الميدان وحده ساحة لإنهاء الخصومات عبر نزال حر شريف تلعب القوة فيه دورها وليس الغدر... وعندما يموت المرء في الميدان، فإنَّه يموت بطلاً مرتين، مرة لأنه واجه وقاتل وقضى نحبه وهو يقاتل ويهجم، ومرة لأنه كفّ الأذى عمن هم وراء ظهره فيوقف بموته فعل القتال ويفتح صفحة جديدة للتسامح والتصالح لمن ظلوا أحياء من بعده... إنَّه أنموذج يضحي بصورة مشرقة وضاءة، وهو جزء من إرادة احترام العدو لدى الفرسان... لابد من الوقوف عندها واحترامها... يقول البيت[1]:

في كَفِّهِ لَدْنةٌ مُثقَّفةٌ فيها سِنانٌ مُحَرَّبٌ لَحِمُ

هذا مشهد موت مشرّف، ينتقل منه الشاعر إلى مشهد آخر فيه الموت ليس مشرّفاً للقاتل... الشرف للقتيل وحده في الحالين وللقاتل في اللقطة الأول ى لأنه يقاتل في معركة... لقد ذهب ربيعة إلى الموت بمعرفته وإرادته إذ من المعلوم أن الفرسان طلاّب منيّات لأعدائهم أو لأنفسهم، أما خالد فقد ذهب إلى اتفاق ولم يذهب إلى موت، لو كان يدري بنواياهم ولو كان يخاف من فعلتهم للوى عنق فرسه وطار بها إلى الوراء ناجياً من غدر يوقع به الموت، ومرة أخرى يدخل الشاعر إلى الصورة على ظهر فرس مسماة، فهي في هروب الطفيل مخذولاً في ساحة المعركة كانت (قرزل) وهي في اقبال خالد إلى مائدة المفاوضات تسمى (سبوح)... ركضت قرزل لأن يد فارسها أرادت أن تفعل ذلك في بحثه عن الخلاص عبر الهروب، ولم تركض سبوح لأن يد فارسها لم ترد لها أنْ تفعل ذلك في بحثه عن الخلاص عبر المفاوضات، ولو أرادت تلك اليد أنْ تسحب العنان لجرت سبوح بعيداً ولانقذت صاحبها لكن (خالد ا) كان فارساً ذا أخلاق اطمأن بها وبإيمانه بأخلاق الفرسان إلى نوايا عدوه لذلك مشى إلى حتفه. وهو يجهل ما

(1) المفضليات: 41. لدنه: قناة لينة. مثقفة: مقومة. محرب: مغيظ.

سوف يفعله عدوه المتخفي في ثياب صديق أو المتخفي في ثياب من يريد أن يظهر بوصفه صديقاً... يقول الشاعر[1].

لو خافكم خالدُ بنُ نَضْلَةَ ن ـَ جَّتْهُ سَبُوحٌ عِنانُها خَذِمُ

ونلاحظ هنا حرص الشاعر على إبعاد الشعور بالخوف عن الفارس (خالد) فهو يتقدم اليهم غير خائف، ولو كان خائفاً يتمسك بحياته أو تهمه حياته لنجا... فالشاعر لا يريد بالخوف هنا مجرد الفصل الآلي أو الشعور الطبيعي إنّه يريد به تفضيل الدنيا عن الموت... إذ لو كان خالد يفضل الحياة على الموت للوى عنق فرسه سبوح وهرب بها بعيداً... وسبوح فرس مشهود لها تستطيع أنْ تركض وتحمله بعيداً عن سيوف ورماح الساعين إلى قتله... إنّها فرس أصيلة لم تترك في اسطبلها لتسمن وتهرم بعيداً عن الميادين بل لقد صقلتها ميادين الجري، وساحات القتال ومضامير المنازلة حتى اكتسبت الصفات الخاصة بمثل هذا النوع من الحياة بالنسبة لفرس عربية... وقد كانت للخيول صفات تميز أنواعها وتحدد مواصفاتها وتعيّن طبيعة استعمالها في الميدان الذي تبدع أو تخدم فيه... وقد حازت سبوح وهي فرس خالد بن نضلة على صفات الخيل المتقدمة فهي قصيرة الشعر طويلة العنق، فالعرب تحب طول العنق في الخيل، فسبوح لهذا السبب تندرج ضمن الخيول التي يميل العرب إلى محبتها فضلاً عن أنها قد عوملت معاملة متوازنة في كيفية إطعامها فروعي في ذلك أنْ لا تترك جائعة فتهزل أكثر مما ينبغي وتضعف فتتكاسل وتعجز عن أداء أية مهمة توكل إليها... ولا يقدم لها أي طعام فائض عن حاجتها فتسم ن وتصبح عاجزة عن العمل، عاطلة عن الحيوية، وبين هذا وذاك يقدم لها طعام متوازن يحافظ على رشاقتها وحيويتها ويدعم طاقاتها وقوتها... ولعل من أهم عوامل إدامة قيمة الخيول وزيادة الإقبال عليها هو بنيتها وكيفية إطعامها فهذا العامل الأهم في إبقائها ضمن المشهد المتقدم، الذي يعلي من قيمتها ويزيد من سعرها ومن إقبال الناس والهواة عليها والتنافس على حيازة ملكيتها... هذه هي سبوح، الفرس الذكية الماهرة النشطة

(1) م.ن:42. السبوح: السريعة في سيرها. الخذم هنا: المسرع.

الغالية التي امتطاها خالد بن نضلة في مهمته غير آبه ولا خائف... يقول نص البيت[1]:

جَرْدَاءُ كالصَّعْدَةِ المُقامَةِ لا قُزٌّ زَوَى متنَها ولا حَرِمُ

هنا يعمد الشاعر إلى ملاحقة الغدر في أعمق معانيه وتفاصيله، يغور في داخل مشاهده ويعرض الصورة بوضوح واكتمال لكي يعرّي الغدر ويمنع عنه الأعذار بوصفه غدراً يحدث نتيجة انتهاج سلوك معين وليس نتيجة تداخل الخطوط وكون الحالة غائمة، إنّه يحدث لأنه غدر ينتهجه الغادرون بطبيعتهم المكتسبة من التآلف مع الشعر والانغمار فيه، فلا حيلة للغادر يجمّل بها فعله الغادر ولا حجة له يحتمي وراءها... لأن الغدر فعل آثم يكشف عن نفسه مهما تخفّى المرء وراء الأعذار والتعليلات... والله يعرّي بقدرته كل فعل غدّار بأن يضعه في سياق مشهد ينمّ عنه ويقود إليه، بل يعزل صاحبه ويظهره ويظهر معه فعله الجبان عارياً مكشوفاً أمام الناس في غمرة ارتكاب الغادر للغدر... وعادة يكشف الغدر في لحظة حدوثه، عن الفاصلة بوضوح، عبر مفارقة كبيرة يبنيها علناً ويفصل بها بين نمط الإنسان الشرير ونمط الإنسان الخيّر... إنَّه يفعل ذلك بقوة من خلال تعظيم صفات الأخيار في أنموذجهم المعروض، أي ملجأ وموئل للاعتصام، منحه الله هذه الصفة لعلو أخلاقه وقدرته على اشاعة الأمان في النفس اللاجئة إليه، فهو واحد من مناطق الاعتصام التي أباحها الله سبحانه وتعالى، والتي أعلن عن وجودها في سياق تاريخ العالم كله من خلال الإعلان عن اللحظة الوحيدة لرفعها وحجبها عن الناس، أي إنَّه أعلن عن وجودها التاريخي من خلال اختيار لحظة واحدة لحجبها في قوله تعالى في محكم كتابه الحكيم في قصة نوح عليه السلام وابنه بعد بناء السفينة وبدء الفيضان الذي سيغمر اليابسة كلّها... يقول نص الآية: ﴿ **قَالَ سَآوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنْ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنْ الْمُغْرَقِينَ** ﴾[2]

(1) المفضليات: 42. الجرداء: القصيرة الشعر، الصعدة: القناة. زوى متنها: قبضه وشنجه. الحرم، بفتح فكسر: الحرمان.

(2) سورة هود، الآية: 43.

فبخلاف هذه اللحظة يمتد تاريخ طويل من اللجوء والاعتصام متاح للبشر عبر لجوئهم إلى بعضهم. في نوع من الإجارة النفسية والأخلاقية... وقد عمد الشاعر إلى رفع منزلة الإنسان الخيّر إلى مقام العصمة والملجأ الجامع للناس... والذي يعد علماً معروفاً بمجرد النظر إليه... لذلك لا خيار ولا عذر للشرير في تبرير استهدافه وفي إحالة الأمر إلى الغموض وشائكية اللحظة.. فليس هناك أي مجال لجهل القلاع العالية التي تشكل موئلاً وملجأً ومعتصماً للناس... زيادة على أن الرجل الخيّر أعلن عن حضوره واعرب عن نفسه بصوت عال مسموع من خلال اطلاقة نداءً مسموعاً... هذه الحالة يبينها الجمي ح شعرياً في وصف لقطة فريدة نادرة للمواجهة أو بصورة أدق تسبق المواجهة بين الشر والخير... يقول نص البيت[1]:

والحارثُ المُسْمِعُ الدُّعاءَ وفي أَصحابِهِ مَلْجأٌ ومُعْتَصَمُ

ويقصد في هذا البيت الحرث بن خالد بن المضلل... الذي يجعل منه شخصية تشع أخلاقها على من هم حولها من أصدقاء فيصبحون مثلها موئلاً وعاصماً وملجأً. وعندما يجلب شاعر بليغ عارف بمهنته، مثل هذه الشخصية، ومثل هذه الأخلاق، إلى نص القصيدة، ويعرضها علينا نحن القرّاء، فإنّه يأتي بها في محيط مؤثث تأثيثاً عالياً يتناسب معها، بل إنّه يضعها على ظهر جواد خاص مميز، فهو بوصفه فناناً يلتقط لحظة نادرة، أو رساماً يرسم مشهداً فذاً، فإنّه لا يقبل بأي محيط... إنّه ينتقي بمهارة ويختار المفردات التي تنسجم مع هذه الشخصية، وأوّلها الفرس أو الحصان الذي يمتطيه في ذهابه إلى الآخر... إنّه يعيد تركيب ذلك الحصان، على وفق رؤاه، ليجعله متناسباً مع اللحظة التاريخية التي سوف يرتبط بها وهو يدخل في جو القصيدة. ربما كان في واقع الأمر حصاناً عادياً أو مميزاً بعض الشيء، ذلك أمر مقبول لحصان موجود في الواقع، حيث يتعامل الناس معه على أساس مبدأ: "الخيل بخيالها" لكنه أُخذ من هناك إلى لحظة شعرية... لذلك لابد من إعادة بنائه مفردة وراء مفردة، لابد من منح ه صفات فريدة تليق بحصان معروض تاريخياً وهو يحمل بطلاً... وأول صفاته

(1) المفضليات: 42.

السرعة في العدو، فهو حصان مليء حيوية لا يوجد فيه إعاقة أو عوق يحول بينه وبين الجري... وهو حصان استكمل ظهور أسنانه أي إنّه بحدود السنة الخامسة من عمره، وهو سيد بين الخيول وليس تابعاً لأي حصان منها. وهو ضخم العظام مكسو باللحم، فهو مثالي الجسد... ليس قميئاً ولا هزيلاً ولا سميناً... إنّه في ذروة صفات الجمال... هكذا يقوم الشاعر بدوره التاريخي، وليس الواقعي، في حذف الحصان الحقيقي من تحت فارسه، ورسم حصان آخر رسمه بواسطة مفردات فريدة دالة كي يكون مناسباً للفارس الذي يحمله... الشاعر هنا يحوّر اللقطة من أجل أن يعيد تأثيثها فيبيح لنفسه أن يأخذ حصان الواقعة، الذي ربما كان حصاناً عادياً أو حتى على أبواب هرم وربما كان قريباً من الصفات الجيدة، إلاّ أنه لا ينسجم مع البنيان الذي يعيد الشاعر تركيبه من خلال إعادة بناء مفرداته، ليضع لنا هناك الحصان الذي نريده والذي نحدسه والذي نتوقعه، ليس لكي نراه، ولكن من أجل أن نرى الفارس الذي يعتليه... لأن مثل هذا الأمر مطلوب في إطار تعميق صورة الفارس، والمبالغة في رسم صفاتها... بما يعني أن الشاعر قام بحذف بعض صفات الفارس وإبعاد بعض الصفات الأخرى من خلال الرسم الذكي لما هو موجود تحتها أي تحت الشخصية... لأنّ مثل هذا الحصان الحيوي الخلاّب، هو جزء من علو مقام فارسه وشخصيته. لذلك نراه يقول في نص البيت[1]:

يَعْدُو به قارِحٌ أَجَشٌّ يَسُو دُ الخيلَ، نَهْدٌ مُشَاشُهُ، زَهِمُ

وبعد أنْ فرغ الشاعر من وصف الفارس والجواد بصفاتهما المجردة، فإنّه يعمد إلى وضعهما داخل طوق محكم يحميه من الأذى وهو الدرع، وهو عبارة عن ملاءة من الحديد حلقاتها مضاعفة، مكونة من حلقات بواقع وضع حلقتين بدلاً من حلقة واحدة في كل مفصل صغير... هذا هو الدرع الذي يختار الشاعر أنْ يجعله طوقاً حامياً يعزل بواسطته الفارس وجواده عن العالم الخارجي وعن المحيط، وهو أشبه بدرع ذي طبقتين عازلتين من حلقات الحديد... إنَّ الشاعر يرى اللقطة بعين

(1) المفضليات: 42. القارح من الخيل: ما تمت أسنانه، وذلك في الخامسة من عمره. الأجش: الخشن الصوت، النهد، بفتح فسكون: الضخم القوائم. المشاش، بالضم: رؤوس العظام. والزهم: السمين.

الضرورة التاريخية التي تعني التزام الحيطة والحذر، لذلك يضع الفارس والجواد داخل ملاءة من حلقات الحديد، ويبقي للقدر إمكانية نفاذ الموت عبر ثقوب الحلقات لذلك يقدم درعاً بحلقات ولا يقدم لوحاً من الحديد... ولكي يظل في إطار الرسم الجمالي فإنّه يعود إلى الدرع ذي الحلقات ويمتدحه لكي يحجب عنه صورة الوهن الموجودة في حلقاته وثقوبه، إنَّ هذه الثقوب تجعله شفافاً... وكل ما هو شفاف جميل... وهنا تختار مخيلة الشاعر شفافية فذة منتقاة من بيئة الإنسان العربي ابن الطبيعة القريبة من الصحراء... الإنسان العربي الذي يعيش بين العطش والارتواء وتمده بيئته بمناظر ولقطات خلابة يختار لنا الشاعر واحدة منها هي مشهد الغدير الذي تملؤه وتملأ وسطه أمطار ضعيفة مستمرة... فهو يمتلئ ويظل صافياً... أو بصورة أدق يظل عميقاً وصافياً وهي الصفة التي اخذها الشاعر من الغدير وخلعها على الدرع. أما كيف اختار لنا العمق والصفاء ؟ فإنّه عمد إلى ذلك باختيار أنْ يمتلئ الغدير بالماء في منتصفه أي إنّه عرض لنا امتلاء منتصف الغدير أو وسطه، ومعلوم أنَّ الغدران توجد فيها أعمق النقاط في وسطها، وهو صاف لأنه يمتلئ على مهل من مطر خفيف مستمر فهو ليس مطراً قوياً يعكر الغدير وليس متقطعاً بحيث تغور المياه في باطن التربة... هذا المشهد الذي تقدمه الطبيعة الموجودة حول الإنسان العربي في العمق والصفاء تمت استعارته إلى الدرع الذي أراد الشاعر أنْ يقول إنّه قوي وشفاف، تماماً مثل الغدير، الذي هو عميق وصافٍ يقول الشاعر في التعبير عن هذا كله[1]:

مُدَّرِعاً رَيْطَةً مُضَاعَفَةً كالنَّهي وَفَّى سَرَارَهُ الرِّهَمُ

(1) المفضليات: 42. الربطة: الملاءة. وادرعها: لبسها.

Horse and Horseman in Jumaih Poem

Ammar H. M. Ali*

Abstract

Arabs' morals, behaviours and habits are related to each other in a general uniform pattern. Its parts are related to lead some of them. This relation finds a way to express itself in the components of world surrounding. Arabs borrow any word from the world to express their moral creation with which they are consistent. Poets usually hold terminals of exception in order to tilt the base. For this reason, we see that they are interested in details of any case that violates the whole moral norms because they want to show the importance of moral base. On the basis of that human being does not strongly realize the law as he does when he observes its behavior in life. Al-Jamaih's poem is one of the poems that talk about this matter.

* Dept. of Arabic/ College of Education/ University of Dohuk.